

## معركة واحدة وعشرة انتصارات

يجب ان ابديء الحديث بالانتصار الاول الذي احرزناه فسي حربنا الحاسمة لكي ابني عليه ما اكتبه اليوم ، ولتكون الكلمة التي ساكتبها منسجمة مع طبيعة هذا الانتصار .

١ - لقد انتصرنا على الكلمة المنفوخة بالوهم والفرور والخيال ، واصبحنا نتمتع بالكلمة المثلثة باليقين والواقعية والمنطق . وهكذا كانت خطابات رؤسائنا واضحة موضوعية بعيدة عن المبالغات ، وكانت اذاعتنا وبلاغتنا وصحفنا مقتصرة على التعريف بالواقع والحقيقة في حربنا الدائرة مع عدو واسع الفروع والجنود ، ولقد انتصرنا على الزيف في سلوكنا فكان اول ما كسبناه اننا اصبحنا نصدق ما نقول ، واصبح العالم يحترم تصريحاتنا ، وصار عدونا يتبتسح اذاعانا على انها المصدر الصادق والمفزع بصدقه ، مما فصح كذب ما يقوله العدو ويصرح به ، فكان الكسب مزدوجا ، ثقة عالية بما نقول وشك شامل بما يقولون .

٢ - الانتصار الثاني هو التحول الى العقلانية والعلم والتخطيط بعد الطوبائية والارتجال . لقد اعطت الحرب الاخيرة اكثر من برهان على دقة التخطيط والتنظيم على المستويات العسكرية والسياسية والشعبية وعلى التنسيق بين جميع القوى والفاعليات والقطاعات . ولاول مرة كان لكل مواطن دوره في المعركة ، لم يكن ذلك مجرد اندفاع تلقائي بل كان تنفيذا لخطة دقيقة استهدفت حماية معركة التحرير من الفشل والنل والخور .

٣ - الانتصار الثالث متعلق باسترداد الكرامة ، ومحسو ذل النكسة والقضاء على اسطورة التفوق الاسرائيلي في الشرق الاوسط ، ليس من حيث التسليح والعتاد فقط ، بل من حيث الكفاءة القتالية والبسالة العسكرية .

لقد احرز العرب انتصارهم بقوة صنوف اسلحتهم ، وبمهارة مقاتليهم وقاذفيهم وطيارهم ، وبسرعة تحركهم ودقة تخطيطهم التعبوي، وبقتالهم الجريء وبسالتهن الصامدة ، ولم يكن هذا الانتصار عطاء ومنة ، كما لم تساهم فيه اية دولة غربية ، بل على العكس لقد كان حرصنا على عدم توسيع نطاق الحرب سببا في دعم الانفستحاح والتنازب بين الدول الاعظم .

٤ - انتصار رائع احرزناه من خلال الحرب هو الموقف القومي الشامل الذي وقفته الدول العربية من المحيط الى الخليج ، والذي اعتبرت فيه هذه الحرب حربها ، وان القضية هي قضية العرب كعلم ، فشاركت في المعركة بجنودها وسلاحها ونفطها ومالها وحربها الاقتصادية وحملاتها الاعلامية ، بروح واحدة وعزم واحد وهدف واحد ، فكانت قومية المعركة بداية راسخة لقيام الوجود العربي الموحد .

٥ - الانتصار الصارخ تحقق بتحرير الطاقة النفطية من نفوذ الشركات والتروستات ومن التحكم والاستغلال .

لقد كسرنا الطوق المضروب حول اعناقنا واصبحت مقادير نفطنا بايدينا ، نحن نفصحه ونحدد كميته ونسعره ونحدد المنتفعين منه ، نمثحه للصديق ونحجبه عن العدو وعن صديق العدو ، ان هذا يعني اشياء كثيرة ، منها ان مادة الحضارة الغربية التي نملكها نحن ، أصبحت مرتبطة بادارتنا ومشيتتنا ، وان الامتيازات الممنوحة للشركات البترولية لم تعد تمن استعبادا لطاقاتنا بل مشاركة قابلة للفسخ في اول محاولة للخداع والعداء . وان شعار بترول العرب للعرب أصبح منذ هذه المعركة اساسا لسياستنا واقتصادنا واصلاحنا

الاجتماعي كحقيقة منفذة وليس املا مرتقبا ، وان هذه الطاقة يجب ان تصنع وتستغل على ارضنا وبفعلنا . اننا اولى بهذا الامر طالما نحن الذين ننتج المادة الاساسية ونحن الذين نستهلك المادة المصنعة ، ومن التخلف المشين ان نسمح باستغلالنا في عهد الانتصارات الذي بدأنا نميشه .

٦ - ان قومية المعركة وزج جميع الامكانيات العربية في المعركة اوضح ان مفايد الاقتصاد الغربي منوطة بآبار بترولنا ، ان هذا الاقتصاد الذي بات يعتمد بنسبة عالية على الصناعات البترولوكيماوية المتزايدة ، عدا اعتماده على البترول كوقود لمحركاته وطاقاته وسياراته وجاراته ، سيكون طوع السياسة النفطية التي نضعها نحن والتمشية مع مصالحنا وسيادتنا . ولن يكون دورنا تعسيفا كما كان دور الدول المستوردة لبترولنا ولكنه دور السيد المتحكم في ملكه وثرواته وطاقاته .

ان معركتنا التي خضناها بانتصار شامل علمتنا ان النفط وحده هو النفطية الحقيقية للعملات العالمية ، وانه وحده سيبقى المعادل الاساسي لجميع العملات ، وان التوازنات النقدية والازمات يصنعها النفط وحده حسب منحنيات ازدياده ونقصانه ، تسويقه او حجبه . والشواهد في ذلك اصبحت جلية واضحة .

٧ - ان انتصارنا الذي حققناه في معركة التحرير الشاملة ، لم يكن انتصارا على اسرائيل والصهيونية فقط ، بل على اميركا والامبريالية في جميع انحاء العالم ، لقد ارادت المصالح الامبريالية في اوربا واميركا ان تقف كمادتها الى جانب اسرائيل التي يمثلها اكبر يهود العالم المتنفذين اقتصاديا وسياسيا واعلاميا . ولكن حربنا الصارمة القومية والشاملة ، وضعت هذه المصالح امام تهديد قاطع ، ينسفها من جذورها ، فتسابقت طوعا او كرها الى تأييدنا ، وا الى الوقوف موقف المحايدين من حربنا . وتسارعت الى حسم هذه الحرب التي كادت تتطور وتوسع لتكون حربا عالمية . على اننا اذا سعينا دائما الى تضييق ساحة الحرب لنجعلها معركة عربية صرفة ، فاننا اردناها ثورة يقوم بها العالم الثالث ضد العالم الامبريالي المستغل للطاقات البشرية والمادية التي تملكها الشعوب المتطورة .

٨ - ان انتصارنا الذي تجلى بنفط اكثر الدول الافريقية علاقاتها مع اسرائيل لا نفهمه من خلال صراعنا العسكري مع هذه الدولة العنصرية وحسب ، بل انما نرى فيه حركة افريقية تحررية واسعة من النفوذ الاسرائيلي السياسي والاقتصادي الذي استحكم خلال السنوات الاخيرة ، وجعل هذه الدولة الامبريالية تتقوى ضدنا بفعل استغلالها المنومة في هذه القارة الفنية البكر . ولقد فتح هذا الموقف امامنا ابواب صداقات نزيهة تساعدنا دائما في معركة التقدم والتطور التي نسير فيها ازاء الدول المتقدمة تقنيا والمستغلة لامكانياتنا اقتصاديا .

٩ - ان اساس هذه الانتصارات كلها ، هو الانتصار العسكري، ولسوف يصبح اسلوب حرب سيناء والنجولان واجتياز القنصة واختراق الخطوط الاسرائيلية واصطياد الطائرات وسحق الآليات دروسا وامثلة راسخة في التاريخ العسكري . ان سحق جهود ست سنوات من التحصين والتعبئة والتسليح الاسرائيلي ، واتلاف مليارات الدولارات المنفقة استعدادا لعدوان غادر ، ان تحقيق هذا العمل بيوم واحد ، يضع حقيقة جديدة امام العالم . ان العرب هم الشرق الاوسط ، هم سادته وهم اصحاب مقاديره وليس لدولة طارئة ان تتسلط عليه وتتحكم في مصيره .

١٠ - الانتصار الاكبر الذي احرزناه هو تحقيق الوجود العربي المصري . لقد ارتبط الوجود العربي منذ مباشرتنا معركة التحرير بهذا العصر وبهذا القرن العشرين . لقد اصبحنا ننسب لحضارة حديثة ، وليس لحضارة تليدة فقط . لقد اتكنا كثيرا على الماضي

فسهونا عن الحاضر والمستقبل ، اما معركة اليوم ، فلقد اوضحت لنا وللتاريخ ان العملاق العربي الذي استيقظ منذ نصف قرن ، يسير اليوم الى الامام باتجاه الشمس .  
عشرة انتصارات في معركة واحدة . رصيد ضخم لنضال جيل ، ومسؤولية كبيرة سيتحملها جيل جديد هو جيل الانتصارات .  
٢٥ تشرين الاول  
الثورة

## أخبار عن المقاتلين الى الفلقين عليهم

في اجازة قصيرة جدا ، عدت الى المدينة الكبيرة من موفسي في مكان ما ، حيث أنا مكلف بمهمة مثل غيري من المواطنين المجندين للمعركة ، وخلال هذه الزيارة العابرة جاءتني أم لا أعرفها تسألني بقلق عن ابني وأخيها المقاتلين ، وألحت عليّ ان اجيبها على سؤالها وكانني أعرف المقاتلين واحدا واحدا وأعرف ظروفهم جميعا . ولقد استجمعت كل ما أفرد عليه من عبارات التشجيع والتطمين وأنا أخطب هذه الام ، ولست متيقنا ان ما قلته قمين بمطامنتها ، فقد كان عليّ ان اقول اشياء اخرى كثيرة . ولهذا اردت ان اوجه هذه الرسالة الى كل أم لم ترد بها بعد اخبار المقاتلين في الجبهة ، بل لملي اردت ان اخطب كل انسان بعيد عن معركة القتال واخبارها الحقيقية ، لا يربطه بها الا بعض المقاتلين من الاهل والاقرباء ، لكي اقول له ان الهم والشفاء هو من نصيب الذين يرون الاشياء من خلال الخوف والفضوض ، وان من تلقون عليهم هم احسن حالا بكثير منكم ، ذلك لانهم يعرفون الحقيقة فلا يخافون .

انا لا اقول ان المقاتلين يتمتعون بلذة القتال في الجبهة ، فالقتل والموت ليسا لعبا او لهوا ، وانما يكن حول كل مقاتل دمار محقق وموت رهيب ، هكذا الحرب التي لم تكن في يوم من الايام بأقل وطأة وبطشا . ولكن الفرق كبير بين من يدخل غمار الحرب ومن يسمع اخبارها . ذلك ان المحارب اذا استرخى روحه يكسب الحياة هو ويعيش حالة الفوز والسيطرة على عدوه بقدر استمداده للعداء والتفحيط ، اما البعيد عن ساحة الحرب المترقب لاخبارها ، فانه يعيش في فراغ وسلبية لا يسعفه منها الا برهان مادي ، كان يحصل على رأس العدو وينظر اليه مستسلما ، او ان يقف على أرض مكتسبة او مستردة ويتلمس ترابها .

ان من يقف بعيدا عن جو القتال يكون اكثر تعرضا للوهيم ولقبول الافكار اليانسة والاخبار المؤسفة . ذلك لانه لا يرى ما فيها . صحيح انها اتون يلهب المتحاربين ، ولكن هذا اتون يوقده المتحاربون انفسهم ، ولكل وسيلته في تفادي النار وتصويبها نحو خصمه .

ان من يحمل البندقية ومن يقذف القنبلة او الصاروخ ويعرف الهدف جيدا ، هو الذي يرى بوضوح ، وهو الذي يحدد مصاني النصر ، ففي كل خطوة او مرحلة من مراحل القتال نصر لا يراه الا صانعه ، ونادرا ما ينقل النصر صحيحا الى القابعين قبل الخطوط .

والمقاتل لا يحمل ميزانا لقياس الربح والخسارة ، فليس عدد القتلى والاسرى وليست مساحات الارض هي الميزان ، ولكن الميزان وحده هو في قوة الاندفاع للقتال والصمود ، وفي البسالة والتشبث بالمواقع المتقدمة . ان الانتصار على النفس اهم اشكال الانتصارات . ومن حق المقاتل في الميدان ان يعزز هذا الانتصار ، لانه يعيش في ظروف افضل بكثير من ظروف الذين يحتضنون الترانزيستور ينتقلون من خلاله وراء الاخبار . والفرق كبير بين من يصنع الاخبار الحقيقية وبين من يستمع اليها من خلال الاذاعات المدسوسة او المتفتضة .

المقاتل في الجبهة يتمتع بثقة هي غريبة عن غيره ، ولو اتيح للفلقين عليه ان يمتطوا معه السوخوي او الميغ ، وينظروا كيف يهلع

العدو امام اصواتها المدوية المرعبة ، قبل ان ينظروا الى آثار قنابلها المدمرة ، لادركهم بعض الثبات والجنان .

ولو كان بمقدورهم ان ينظروا من خلال مناظير المدافع المنتشرة في كل مكان ، لرأوا كيف تتلاشى قوات العدو وحصونه وراء الضربات السديفة التي يطلقها جندي الميدان .

لقد رأى الناس في المدينة كيف تنهوى الطائرات العدو بالمئات امام ضربات طائراتنا ووسائل دفاعنا الجوي . عندها فقط كانت الطمانينة تشملهم جميعا ، فكانوا أشبه بالجندي في الميدان . وعندما نفذت الطائرات العدو ، وفقد من تبقى منها الجرة على اختراق أجوائنا ، عاد القلق الى الظهور ، لماذا توقف دفاعنا عن اسقاط الطائرات ؟ لماذا لا نتحدث الاذاعة عن الانتصارات ؟

ومن المؤسف ان يصير الناس بهذا اكثر عرضة للحملة النفسية التي تبثها سموم الاذاعات المعادية ، ومن المؤسف ان تصبح غارات العدو على البيوت الآمنة في شوارع السفارات وفي ضاحية دمشق الجديدة ، وعلى الساحل ، عاملا من عوامل الضجر من الحرب . ان قصف المدن الآمنة امر لا يحتاج الى بطولة وشجاعة وقوة ، وانما هو يقوم على الخسة والفدر والوحشية ، واذا شهدت مستشفياتنا مئات المصابين من هذه الغارات ، فان هؤلاء المصابين كانوا اطفالا ونساء ورجالا آمنين وبعضهم من الاجانب القيمين في بلادنا . ان الجندي في المعركة شديد الحزن لهؤلاء الضحايا ، ولكن حزنه يدفعه الى الضراوة في القتال والاستبسال في الدفاع ، متجها نحو القوة العسكرية المعتدية وحدها ، بعيدا عن ارتكاب جريمة ضرب الامنين المجردين من الدفاع . الجندي في الميدان لا يضجر من القتال ، بل على العكس ان امله الوحيد ان يفسح امامه الزمن الكافي لمتابعة مهمته القتالية الواسعة النطاق . وعندما يوقف اطلاق النار يشعر بالاسى لعدم تمكنه من تحقيق هدفه كاملا ، وهو اذ يقف امام قرارات مجلس الامن ، فانه يكتب بذلك انتصارا جديدا في ضبط النفس وكبح جماح استبساله وقاتله . وعلى الذين يقفون بقلوبهم وراءه ان يفهموا جيدا موقفه ودوره وان يحفظوا ويحافظوا جيدا على انتصاراته الكثيرة التي حجبتها المسافة والحرب النفسية ووقف القتال ، ولكنهم سيسمعون عنها كثيرا وسيقرأون عنها كثيرا ، فهي المؤشر الجديد لتاريخنا الجديد المقبل .

ان بريق الانتصار شعلة يجب ان تستمر مضيئة دائما ، ومن الخيانة ان نحجب ابصارنا عن نورها الساطع .

ان عيوننا التي اعتادت الظلام خلال فترة قاتمة من تاريخ صراعنا مع عدونا الصهيوني ، يجب ان تعتاد على بريق الانتصارات الكثيرة التي أحرزناها من خلال معركة اكتوبر في سيناء والجولان ، والتي توسعت فشملت ابعادها انتصارات على المستويات السياسية والقومية والاقتصادية ، وبهذا المعنى فان هذه المعركة كانت ثورة حقيقية ، ثورة الضمير العربي على جميع اشكال العدوان والاستغلال والامتهان والتشرد . وانتصارنا ناجز في جميع هذه الجبهات المستعصية . ولقد حقق هذه الانتصارات الجندي في المعركة ، وله المجد الاكبر في ذلك شهيدا صار او مقاتلا ما زال . واذا لم يكتب للامنين حظ في القتال، وشرف في الاستشهاد، فذلك انه لم يجيء دورهم بعد . انا نفسي مجند قابع في الصف الثاني لم يكتب لي بعد ان ارمي طلقة واحدة ، لم يكتب لي شرف ان اخوض غمار المعركة التي خاضها الصف الاول ، لم أحظ بعد بشرف استشهاد . اعترف اني أشعر بالاسى لان دوري لم يحن بعد . وانتم الفلقون في المدينة الكبيرة سيوزل فلكم ابدا لو ان دوركم قد حان كما حان دور الرجال والنساء والاطفال في السويس وبور سعيد والاسماعيلية . لقد زال قلقهم الى الابد ، لانهم رأوا باعينهم كيف ينهزم التسلسون الغاشمون امام ارادتهم ، ارادة الانتصار والتحرر .

لقد زال قلقهم لانهم صنعوا النصر بايديهم وعرفوا كيف يصير ويتحقق ، ودفعوا ثمنه بكل استرخاض .